

دور الإسلام في الكشف الجغرافي لأفريقيا

أ.د. عبد الأمير عباس الحياتي

-المستخلص-

إن اصطلاح اكتشاف القارة الافريقيه يختص بالأوروبيين أكثر من غيرهم ؛ فمفهوم الكشف والذي يعني الوصول الى مناطق جديدة ينطبق على الأوروبيين ولا ينطبق على سكان افريقيا ؛ لان هذه القارة لم تكن مجهولة بالنسبة لسكان افريقيا سواء كانوا من العرب أم من الأفارقة ؛ ونما كانت مجهولة لسكان أوربا. وقد كان سكان الحوض الشرقي للبحر المتوسط أول من ساهموا في الكشف الجغرافي؛ اذ نشأت في منطقتهم أقدم الحضارات التي عرفتھا الإنسانية والتي اعتمدت في بعض الأحيان على التجارة ؛ وفي البعض الآخر على الوافر الزراعي الموجود في بيئتهم ؛ وقد ذكرت العديد من النقوش المصرية القديمة وصفا للرحلات التي شقت طريقها من مصر الى الجنوب فإقليم الغابات بعد اختراقها للصحراء ؛ وإقليم السودان الشرقي ومن تلك الرحلات التي قام بها (خوف حور) في عهد الملك (مرن رع) وقد أشارت بعض الدراسات الأثرية الى ان المصريين ذهبوا الى السودان الغربي وكانت لهم علاقة ببعض سكان غانة .

إما بالنسبة لحضارة العراق القديمة فقد كانت التجارة الخارجية هي ايضا العامل الأساسي الذي دفع الحضارة السومرية للقيام برحلات بحرية الى الساحل الشرقي لإفريقيا ؛ وقد دلت العديد من التنقيبات الأثرية في شرق افريقيا على وجود تشابه في العديد من طراز البناء والعادات والتقاليد لدى السومريين والآشوريين ومنها استخدم رسم القرن للدلالة على القوة والسيطرة – لقد استمر الاتصال العربي بشرق أفريقيا ينمو ويتسع قبل الاسلام؛ وكانت التجارة المحور الأساسي الذي قامت عليه تلك الاتصالات ؛ وقد ساعد على ذلك العوامل الجغرافية التي تمثلت في وجود البحار؛ وهبوب الرياح الموسمية التي سهلت انتقال السفن ما بين شبه الجزيرة العربية وبين الأجزاء الشرقية من افريقيا .

يعد الإسلام أول مؤثر حضاري يدخل الى القارة الأفريقية؛ وقد أدى ظهوره الى اتساع التواصل والتفاعل والاحتكاك ما بين سكان الجزيرة العربية وبين سكان أفريقيا؛ وبدأت تتجه أفواج من العرب الى أفريقيا لأسباب ودوافع عديدة منها نشر الإسلام والتوسع في التجارة ؛ وكانت من أولى نتائج الهجرات العربية الإسلامية تأسيس مراكز ومدن على طول الساحل الأفريقي والجزر المقابلة له ؛ وسرعان ما استطاعت هذا المدن والمراكز العربية الإسلامية ان تفرض سيطرتها على المنطقة ؛ وكان للعرب والإسلام دورا واضحا في التأثير على بلاد افريقيا وسكانها ؛ إذ بفضلهم تجمع السكان على أسس منظمة؛ وظهرت في افريقيا الكيانات السياسية المستقلة ؛ وارتبطت افريقيا بالوطن العربي على كافة المستويات الثقافية والتجارية واستمر هذا الترابط حتى القرن (9هـ/15م) حيث دخول الاستعمار الاسباني والبرتغالي الى شرق افريقيا . لم يعرف الأوروبيين مجاهل افريقيا ؛ الا في اعقاب حركة الكشوف البحرية في اواخر القرن (15م) وكانت اسبانيا والبرتغال الدولتان الأوروبيتان الأقرب الى الساحل العربي في شمال افريقيا ؛

شعرت بالأهمية الجيوستراتيجية لقارة افريقيا ؛ وكانت هنالك جملة اهداف تقف خلف السبق الابييري في مجال الكشف الجغرافي في افريقيا ومن أهمها الهدف الديني والاقتصادي.

المقدمة :-

ان اصطلاح اكتشاف القارة الأفريقية يختص بالاوربيين أكثر من غيرهم ، فمفهوم الكشف والذي يعني الوصول الى مناطق جديدة ينطبق على الأوربيين ولا ينطبق على سكان افريقيا ، لان هذه القارة لم تكن مجهولة بالنسبة لسكان افريقيا سواء كانوا من العرب او كانوا من الأفارقة ، وإنما كانت مجهولة لسكان اوربا . ولم يعرف الأوربيين مجاهل أفريقيا الا في اعقاب حركة الكشوف البحرية في اواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، وكان الأوربيين يسمون القارة الافريقية بـ (القارة المظلمة) حتى بداية العصور الحديثة ، وذلك لجهلهم عن احوالها وطبيعتها وكانوا يعللون تخلفهم عن كشف القارة هو عدم الترابط بين اجزاء القارة ، وظروفها المناخية ، والتضاريس الوعرة ، والغابات الاستوائية الكثيفة ، مما لا يساعد على وجود الطرق ومسالك يستطيع الانسان سلوكها والعودة منها ، وعدم صلاحية الأنهار لسير السفن لمسافات طويلة لكثرة الجنادل والسدود والشلالات في مجاريها ، وعدم وجود البحار الداخلية .

بالرغم من وجود هذه المعوقات فالقارة الافريقية مهمة بالنسبة للوطن العربي قديما وحديثاً ، فقد ارتبط الوطن العربي بالقارة الافريقية بقسميها شمال الصحراء وجنوبها في عصور مختلفة من التاريخ ، كما امتزجت الحضارة العربية بحضارات الشعوب الافريقية ، ويعد الإسلام أول مؤثر حضاري يدخل الى القارة ، ومن الواضح ان كثرة أسفار العرب نحو أفريقيا من اجل التجارة ، او الهجرة من اجل الاستقرار طلباً للثروة او التحصيل مكتسبات مادية او معنوية إضافة إلى حبهم الى الاستمرار في عملياتهم الجهادية في سبيل الله تعالى من اجل نشر الإسلام . كل ذلك دفع أعداد كبيرة من المسلمين إلى دخول أفريقيا من اجل معرفة أغوارها والتعرف على أهلها ، خاصة ان قارة أفريقيا مجاورة لبلادهم وقريبة من خطوط مواصلاتهم ، وفي جوار مكاني دائم والعرب والزنوج هم اقرب الى التضامن والتفاهم بحكم التخوم الجغرافية وكثرة وقدم الاختلاط المتبادل وان جزء كبير من الوطن العربي يقع في القارة الافريقية ولبيان دور الإسلام في الكشف الجغرافي لقارة أفريقيا ، سيتناول البحث ثلاث مباحث يتضمن المبحث الأول الحضارات القديمة ومجال الكشف الجغرافي لأفريقيا ، أما المبحث الثاني فيتحدث عن دور الإسلام في الكشف الجغرافي لقارة أفريقيا ، أما المبحث الثالث والأخير سيعرض دور الأوربيين في كشف القارة الافريقية .

المبحث الأول :- الحضارات القديمة ومجال الكشف الجغرافي لأفريقيا

التفكير الجغرافي قديم قدم الإنسانية ذاتها ، اذ ان المجهودات الأولى التي قام بها المفكرون من اجل تفهم الظواهر الطبيعية المحلية المحيطة بهم ، وتفهم مركز الإنسان بين هذه الظواهر يعد المنشأ الأول للجغرافيا . وقد كان سكان الحوض الشرقي للبحر المتوسط اول من ساهموا في نمو المعرفة الجغرافية ، اذ نشأت في منطقتهم اقدم الحضارات التي عرفتها الإنسانية والتي اعتمدت في بعض الاحيان على التجارة ، وفي البعض الاخر على الوافر الزراعي الموجود في بيئتهم⁽¹⁾ . اذ ان الحضارات القديمة استغلت موقعها الجغرافي المتوسط بين دول العالم الاخرى المعروفة في ذلك الوقت وازدهرت عن طريق الاتصال التجاري والاحتكاك الثقافي بغيرها من الحضارات الأخرى ، وعلى الرغم من ان حوض البحر المتوسط كان هو المدرسة الاولى التي تعلم الإنسان فيها فنون الملاحة ، الا ان الاتصال البحري لم يكن سهلاً ميسوراً في بادئ الامر ، اذ ان فنون الملاحة كانت ما تزال في دور النشأة الأولى ، وقد حاول المصريون والبابليون في

عصور ما قبل التاريخ تحديد بعض الأماكن على سطح الأرض بالنسبة لحركة الشمس والنجوم⁽²⁾.

ويبدو الاتصال بين الحضارتين المصرية والبابلية قديم ، إذ تشير الآثار المصرية القديمة منذ عصر الأسرات إلى أن الفراعنة كانوا على معرفة بالدول المحيطة بهم في شمال أفريقيا والساحل الأفريقي وغرب آسيا ، وأن المصريين القدماء كانوا على اتصال بعدد من الممالك في جنوب مصر ومنها بلاد بونت (punt) ولا يعرف بالضبط الموقع الجغرافي لهذه البلاد ، ولكن الكتابات التاريخية يبدو أنها كانت تشمل الأراضي التي تقع على الساحل الجنوبي للبحر الأحمر والتي تعرف الآن باسم الصومال وإريتريا وربما اشتملت على عدن واليمن⁽³⁾ . ويذهب بعض الكتاب إلى القول بأنه وعلى الرغم من أن هذه البلاد كانت متاخمة لمنابع النيل وأراضي الحبشة ، إلا أنه ليس من المحتمل أن يكون المصريون القدماء عرفوا روافد النيل في الحبشة ، إذا أنهم استخدموا طريق البحر الأحمر للوصول إلى بلاد بونت ، أما بلاد كوش فقد احتلها المصريون خلال فترة حكم الأسرة الثالثة وتشمل بلاد النوبة غير أن مدى واتساع وأهمية هذه المملكة قد اختلف على مدى الزمن تبعاً للدول الحاكمة . وقد وصل المصريون إلى بلاد "يام" (Yam) ويذكر المؤرخون أنها كانت تقع غرب النيل، وأنها تكون الجزء الغربي من أرض كوش التي تشغلها في الوقت الحاضر أراضي كردفان ودارفور ، وكانت هناك تجارة رائجة بين هذه المملكة ومصر وأن أهم عناصرها الرقيق والعاج والصمغ ، ومن تلك المناطق أحضر (حرفوف) وزير بيبي الثاني عدداً من التحف النفيسة والتي كانت من بينها القزم الذي سر برؤيته كثيراً لأنه أدخل السرور إلى قلبه برقصه الجميل ، ويذكر بعض الكتاب أن منطقة الأقزام في العصر الفرعوني كانت تمتد إلى شمال بحر الغزال وأعلى النيل ، كما كانوا على معرفه بمجرى النيل حتى التقاءه مع السوبات⁽⁴⁾ .

وقد ذكرت العديد من النقوش المصرية القديمة وصفاً للرحلات التي شقت طريقها من مصر إلى الجنوب فأقليم الغابات بعد اختراقها للصحراء ، وأقليم السودان الشرقي ، ومن بين تلك الرحلات التي قام بها (خوف حور) في عهد الملك (مرن رع) وهي رحلته الخامسة التي خرجت من مصر براً في الصيف ووصلت بعد أسبوعين إلى بلاد (أليام) ثم خرج منها متجهاً نحو الجنوب وسط منطقة ذات أشجار قصيرة وأحراش ثم أخذت الأشجار تقل تدريجياً حتى غدت الأراضي صخوراً تتخللها دروب ومسالك وأستغرق اجتياز هذه المنطقة أسبوعاً - ولم يقف نشاط المصريين القدماء بالذهاب إلى بلاد السودان الشرقي فحسب ، بل وقد أشارت بعض الدراسات الأثرية إلى أن المصريين ذهبوا إلى السودان الغربي وكانت لهم علاقة ببعض سكان غانه⁽⁵⁾ . أما بالنسبة للعراق فقد كانت التجارة الخارجية هي أيضاً العامل الأساسي الذي دفع الحضارة السومرية للتقدم ، فخصوبة التربة ووفرة المياه منحت أهل العراق فائض زراعي مكنهم من استخدامه كعنصر أساسي في تجارتهم كما منحتهم في نفس الوقت فرصه للتخصص في عدد من الحرف ، غير أنهم لا يملكون المواد الخام اللازمة للإنتاج أي صناعه ، ومن ثم كان عليهم استيراد الأحجار والأخشاب والذهب من البلاد الأخرى في مقابل منتجاتهم ، لذلك نجد اتصالات خارجية عديدة بين العراق وشرقي أفريقيا في عهد سرجون الأكدي الذي حكم العراق حوالي سنة (1709) ق.م حيث كشفت الحفريات عن نقوش سومرية وبابلية في الساحل الشرقي لأفريقيا ، تشير إلى وصول شعب وادي الرافدين إلى هذه المنطقة⁽⁶⁾ . فحضارة العراق غنية عن التعريف والعراقيون القدماء عرفوا صناعة السفن وقاموا برحلات بحرية كثيرة عبر الخليج العربي فجنوب شرق آسيا والساحل الشرقي لأفريقيا ، وقد دلت العديد من التنقيبات الأثرية في شرق أفريقيا على وجود تشابه في العديد من طراز البناء والعادات والتقاليد وبعض المعتقدات مع ما كان من عادات وتقاليد لدى السومريين والأشوريين ومنها استخدام رسم القرن للدلالة على القوة

والسيطرة ، وهذه العادة لا تزال تستخدم على ساحل افريقيا الشرقي حتى اليوم لدى بعض الجماعات⁽⁷⁾ .

وقد نشط الاتصال العربي بشرق افريقيا في زمن دولة معين في اليمن (1300 – 650 ق.م) وتوارثتها دولة سبا من حوالي (950 – 115 ق.م) ثم دولة حمير حوالي (115-525 م)⁽⁸⁾ . لهذا شهدت افريقيا اتصالاً بالعرب عن طريق المحيط الهندي ، وكانت الاتصالات مع الحضارة واليمنيين وشرق أفريقيا من ناحية ، وبين سكان الخليج العربي (البحرانيين والعنانيين) والساحل الإفريقي الشرقي أيضاً من ناحية اخرى ، وفي القرن السادس قبل الميلاد هاجر السبأيون إلى القرن الأفريقي ، واستقروا في اريتريا والحبشة التي سميت باسم تعزیه ، كما استقر الاوسانيون في أزانيا التي يعتقد بأنها الأرض المقابلة لجزيرة بمبا وزنجبار ، كما يعتقد ان الاوسانيين بعدها توغلوا نحو الجنوب وفي عمق افريقيا ، علماً ان موطنهم الاول كان في جنوب الجزيرة العربية ، وقد كانوا في اوج ازدهارهم في القرن (7 ق.م) قبل هجرتهم الى ساحل افريقيا الشرقي⁽⁹⁾ .

وقد أشارت بعض النقوش الحجرية المكتشفة إلى ان قبائل سبئية وحميرية هاجرت من اليمن وعبرت البحر الأحمر عن طريق مضيق باب المندب وجزر دهلق وكانت جهتها مرتفعات اريتريا والحبشة ؛ وعلى رأس القبائل النازحة من جنوب الجزيرة العربية وأقدمها قبيلة (الاجاز) وهم جماعة قنبلية يمنية هاجرت الى الأقسام الجنوبية من مرتفعات اريتريا اليوم؛ ومنها انتشرت لغتها الجعزية وهي لغة مكتوبة⁽¹⁰⁾ . أما السبأيين فقد كانوا متقدمين حضارياً عدة قرون على سكان ساحل افريقيا الشرقي؛ ولذلك عندما هاجروا الى هناك نقلوا الى تلك المنطقة مجموعة النظم الحضارية المتقدمة إضافة الى نقلهم اللغة الى ساحل افريقيا الشرقي؛ والخبرة البحرية المتطورة وما رافقها من خبرة في الفلك والطقس ؛ ومعرفة مواعيد هبوب الرياح الموسمية ؛ كذلك نقلوا المهارات الزراعية والأساليب المتطورة للتحكم بمياه الأمطار والسيول عن طريق إنشاء المدرجات والمسطحات على سفوح الجبال وزراعتها وبناء السدود⁽¹¹⁾ .

لقد كان للسبأيين والحضارة اليمنية القديمة آثارها الواضحة على حضارة شرق افريقيا ؛ فلم ينتهي القرن الرابع عشر الميلادي حتى كانت هضبة اريتريا وإقليم تيعزة الحبشي والساحل الأفريقي الشرقي عموماً قد وصل الى درجة متقدمة في مضمار الحضارة آنذاك ؛ وظهر في تلك المنطقة شعب متحضر عرف فيما بعد بالشعب الحبشي ؛ الذي هو نتيجة تفاعل وانصهار القبائل السبئية والقبائل الحامية التي شكّلت فيما بعد دولة اكسوم التي اقترن اسمها بدولة سبا والتي استمرت تحكم المنطقة لفترة طويلة حتى ظهرت في أعقابها مملكة إثيوبيا⁽¹²⁾ . اما الأسباب التي دفعت بالعرب القدامى الى الهجرة الى ساحل افريقيا الشرقي فقد نسبها البعض الى عوامل تجارية من اجل الحصول على الخيرات الكثيرة في شرق افريقيا ؛ وهناك من يرى بانها من اهم الاسباب لتلك الهجرة ما حدث من تدهور لحالة الامن في أعقاب تصدع سد مأرب وانهيائه وتحول مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الى خراب؛ مما دفع بالكثيرين من السكان الى الهجرة الى مناطق مختلفة ومنها ساحل افريقيا الشرقي⁽¹³⁾ .

لقد استمر الاتصال العربي بشرق افريقيا ينمو ويتسع قبل الاسلام فلم يشمل اليمن فقط ؛ بل وحتى العديد من دول الخليج العربي والعراق وكانت التجارة المحور الأساسي الذي قامت عليه تلك الاتصالات؛ وقد ساعدت على ذلك العوامل الجغرافية ومنها الرياح الموسمية التي كانت تهب على منطقة المحيط الهندي والتي تمكن السفن الشراعية الصغيرة من القيام برحلتين منتظمين في السنة وبأقل مجهود ؛ ففي الخريف تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج من خليج عمان الى المحيط الهندي ثم تسير بموازاة الساحل الإفريقي ؛ وفي الربيع تندفع الرياح با

تجاه شمال شرقي تمكن السفن من العودة الى قواعدها في سواحل شبه الجزيرة العربية ؛ ومنها سفن الخليج العربي والعراق التي كانت تخرج من الخليج العربي الى المحيط الهندي لتسير بوساطة تلك الرياح الموسمية الى شرق افريقيا (14).

المبحث الثاني: دور الاسلام في الكشف الجغرافي لأفريقيا

لقد كان الاتصال قائما ومستمر بين عرب الجزيرة العربية وخليجها وبين الساحل الشرقي الأفريقي منذ عهد موغل في القدم حيث يصل البحارة والتجار العرب ويقومون مراكز للتجارة ؛ ويتاجرون ويتزاوجون من القبائل الأفريقية؛ ويقوم بعضهم على الساحل ؛ وقد كان هناك ما يساعد على سهولة هذا الاتصال ؛ منذ عرف الإنسان ركوب البحر منذ فترة قديمة سبقت الميلاد ؛ كما وجدت ظواهر طبيعية سمحت بهذا الاتصال تمثلت في وجود البحار ؛ وهبوب الرياح الموسمية على هذا الجزء من العالم والتي سهلت انتقال السفن ما بين شبه جزيرة العرب وبين الأجزاء الشرقية من افريقيا (15). وقد اشار المؤرخ الإغريقي (بيربلوس) صاحب كتاب الكشف البحري في القرن الاول الميلادي الى هذا الاتصال حينما كتب يعجب بكثرة السفن العربية على الساحل الشرقي الأفريقي ويشيد بقدرة العرب العيش مع السكان الأصليين ؛ كما اشار المستشرق الأوربي المعروف بازيل دافيدسون الذي قال ((كان أقدم من قدم هذا الشاطئ الشرقي من افريقيا للتجارة حيناً والاستيطان حيناً أخرهم الأمراء التجار من جنوب الجزيرة العربية)) (16).

وعندما ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ؛ دخل الى أفريقيا حيث كانت الدعوة الإسلامية في مستهل طورها المكي يوم كان المسلمون الأوائل يكتمون إسلامهم خشية التعرض لأنواع التعذيب ؛ ولما زاد عدد المسلمين أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمد (ص) يدعو الناس علنا بقوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين) وبذلك أصبحت الدعوة الإسلامية علنية ؛ فبدأ الرسول بتنفيذ امر ربه ؛ قاوم مشركوا قريش دعوة الرسول العلنية مقاومة شديدة ؛ لما رأى الرسول (ص) ازدياد أذى المشركين لا صحابه ؛ وعدم قدرته على حمايتهم خشى عليهم ؛ فاختار لهم بلداً يا منون فيه على أنفسهم من ظلم المشركين ؛ فأشار إليهم بالهجرة الى الحبشة وقال لهم ((لو خرجتم إلى ارض الحبشة فان فيها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق يجعل الله لكم مخرجا مما انتم فيه)) فخرج المسلمون من أصحاب رسول الله الى الحبشة مخافة الفتنة وفراروا الى الله بد ينهم فكانت اول هجرة في الإسلام (17). ولما علمت قريش بهذه الهجرة اجتمعوا على ان يبعثوا الى النجاشي ليخرج المسلمين من بلاده فبعثوا عمر بن العاص و عبد الله بن ربيعة فجمعوا له الهداية ولبطارقته ؛ وعلى الرغم مما قدمه سفيرا قريش له ولقوات دولته من هدايا ثمينة رفض النجاشي تسليم المسلمين لقريش ؛ بل ان النجاشي امر برد هدايا قريش وهذا في العرف الدبلوماسي يعني رفض السفارة وعدم الاستجابة لمطالبهم ؛ وبفضل تلك المنزلة لم ينزل المسلمون بلاد الحبشة منزلة ارض الجهاد وصارت علاقتهم بها يغلب عليها طابع السلم . إذاً الحبشة هي مركز الاتصال الأول بين المسلمين والأفارقة ؛ ومن الطبيعي ان يتأثر الأحباش بالمسلمين وان يتعرفوا على اقل تقدير على الإسلام من أولئك المهاجرين، ثم جاء الاتصال الثاني بأفريقيا في عهد الرسول (ص) نظرياً عندما بدأ الرسول محمد (ص) قبل وفاته سنة (11 هجرية) يرسل الى حكام وملوك عصره من اجل تبليغهم الاسلام وتعريفهم بنبوته (18).

وقد أدى ظهور الإسلام إلى اتساع التواصل والتفاعل والاحتكاك بين سكان الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لأفريقيا ؛ وشهدت سواحل شرق أفريقيا هجرات عربية واسعة ؛ إذا بدأت تتجه أمواج جديدة من العرب لأسباب ودوافع عديدة ؛ منها نشر الإسلام والتوسع في التجارة ؛ أو البحث عن الرفاه ؛ وفي مرحلة متقدمة ؛ وبعد اضطراب الحال بسبب الخلافات التي نشأ بين الأمويين والعباسيين ؛ وخصوصهم ومنافسيهم وما شابه ذلك؛ فإن الكثير من العرب المسلمين لاذوا بأنفسهم وأفكارهم السياسية المناهضة لنظم الحكم القائمة آنذاك⁽¹⁹⁾ . لقد كانت أولى نتائج الهجرات العربية الإسلامية إلى ساحل شرق أفريقيا تأسيس مراكز ومدن على طول الساحل وفي الجزر المقابلة له وبالداخل أيضا ؛ وسرعان ما استطاعت هذه المدن والمراكز العربية والإسلامية أن تفرض سيطرتها على المنطقة ؛ وان تحقق نجاحا وازدهارا كبيرين ؛ إذا كانت على جانب كبير من التنظيم والاستقرار وساهمت في الانتعاش الاقتصادي والحضاري لتلك المنطقة وأهمها (مقديشو- باتسا- زنجبار- مومباسا- مالديني) كما أنهم نزلوا بجزر المحيط الهندي بما فيها (مدغشقر- جزر القمر- موريشيوس) بل ان العرب توغلوا في العمق نحو قلب القارة من أوغندا ورواندا وبورندي مرورا ببنجانيقا (تنزانيا) حتى الزامبيزي حيث زامبيا وزيمبابوي⁽²⁰⁾ . ولقد كانت من نتائج الهجرة العربية الإسلامية الى ساحل أفريقيا الشرقي أيضا (اللغة السواحلية) حيث ظهرت هذه اللغة في القرن الثامن الميلادي وتمركزت في شرق أفريقيا وبعض جزر المحيط المجاورة واتسعت دائرة اللغة السواحلية فشملت أجزاء من وسط أفريقيا⁽²¹⁾

1 - اثر الاسلام في تطوير الفكر الجغرافي:-

الفتح هو نشر الإسلام في الأصقاع الأخرى غير المسلمة ؛ ولان الدين الإسلامي كان في ذلك العهد دينا أحدث اختلالاً في موازين القوى السائدة والأعراف التي اجتمع عليها العرب وغير العرب والتقاليد التي ألفوها ؛ فقد حورب في بداية الأمر ؛ ولكن بعد أن اتضحت قيمة وأرائه في حياة الناس واندفاع جموع الفقراء نحوه ونصر الله له ؛ بدأ ينتشر في ربوع العالم عن طريق الفتح الإسلامي ؛ ولكي يكتمل فضل الله على الناس بهذا الدين الجديد فقد حملته العرب المسلمون نحو أفريقيا⁽²²⁾ . ولم ينتهي القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد ألا وكان معظم قبائل الجزيرة قد أعلنت إسلامها وظهر بينها تعاون كبير حتى تمكنت من بسط سيطرتها على معظم الصحراء؛ وقد اتحد الإسلام مع سكان الشمال الأفريقي والصحراء بفضل الانتصارات التي حققها الفاتحون ؛ وكان اتحاداً قويا بدأ وكأن الإسلام وليد تلك المنطقة ؛ والذي حدث كما ذكر المؤرخ الفرنسي فوتيه ((ثورة عارمة إذا تخطت البلاد ذات الحاجز الفاصل بين الغرب والشرق والذي صعب اجتيازه في بلدان أخرى؛ أنها قفزته في المجهول))⁽²³⁾ .

ويذكر ان عقبة بن نافع وموسى بن نصير لم يتمكنوا بإمكانيتهما المحدودة من الوصول الى بلاد غانة ؛ وانما كان قد أرسلوا بعضاً من قواتهما العسكرية الى هناك لاستطلاع أخبار المنطقة ؛ وانه بفضل تلك الحملات الاستطلاعية وما أعقبها من دخول التجار المسلمين الى هناك فقد تعرف سكان غانة على الاسلام واقبلوا عليه ؛ ونظرا لعدم وجود المواقع العسكرية والاجتماعية فقد استقر بعض افراد تلك الحملات العسكرية مع عوائلهم في غانه رغبة منهم في نشر الاسلام والحصول على الكسب التجاري الحلال⁽²⁴⁾ .

كان لعمليات الفتح الإسلامي التي قام بها المسلمون أثرها الواضح في تطوير المعرفة الجغرافية عندهم حيث أتاحت لهم المجال لمعرفة أوضاع البلدان المجاورة والإطلاع على كل ما يتعلق بالحياة الحضارة والماضية لهذه البلدان ؛ فضلا عن أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ وسلوك سكانها وعاداتهم وأعرافهم وقيمهم وأديانهم ؛ إضافة الى عوامل الوحدة

السياسية والمواطنة الاسلامية وانتشار الأمن ساهم الى حد كبير في إتاحة حرية الانتقال بين ربوع الدولة الاسلامية ؛ الأمر الذي نشأ عنه اتساع النشاط التجاري وازدياد حركته ؛ لان المسلمين كانوا قد فرضوا السيطرة على كل ما من شأنه تعكير الامن وبذلك أصبحت الأقاليم الجديدة كنوزاً و غرائب للجغرافيين والباحثين العرب خصوصا من اقاليم كثيرة وكانت تختلف ؛ اختلافا كبيرا في مناخها وطبيعتها وناسها ؛ مما كان له الأثر في ان يكون هذا الاختلاف مادة ثرية للفكر الجغرافي العربي المسلم⁽²⁵⁾

2-اثر التجارة:-

لم يكن العرب امة مغلوقة على نفسها؛ بل كانوا أمة محبة للتطلع تواقه للتوصل الى حقائق المعارف المختلفة ؛ الأمر الذي ولد عندهم شعورا بالفخر فيما بعد في تفوقهم التجاري تحقيقا لمتطلباتهم ؛ وقد وضع الإسلام أوصولا أخلاقية لعملية التجارة لتحافظ على الوشائج الأخوية التي تربط بين الناس ؛ فقد أمر الإسلام بالصدق والأمانة في البيع ؛ كما حث الإسلام التجار الى رخص الأسعار للتيسير على الناس بعد ان شجع الجالب وحارب المحتكر؛ وكان على التاجر في بيعه وشرائه كله ان يذكر الله ؛ ولذلك فاهدف العام من التجارة ليس لتحقيق المصالح الشخصية فحسب وإنما لإقامة المصالح الشرعية وتحقيق المصالح العامة للمجموع⁽²⁶⁾. وقد حصل هذا الأمر بالنسبة للتجارة مع الأفارقة الزنوج؛ وقد وجدنا دائما ان الإسلام في السودان الغربي يتتبع خطوط التجارة ؛ وقد شكلت الجماعات التجارية في السودان الغربي مثل (السنونكا) في غانة مستوطنات تجارية وكانت هذه المستوطنات تتضمن دائما العلماء المسلمين حتى انه حصل نوع من التوافق الغريب الى درجة الاتحاد بين مهنة التجارة؛ ومهنة الداعية الى الله ؛ وفي مناطق كثيرة كان تعبير التاجر والمسلم مترادفين⁽²⁷⁾.

أن أولى تيارات اعتناق الإسلام في أفريقيا (السودان الغربي) كان لها أسس تجارية حيث كان الملح يعوض بالذهب ؛ ولذلك فهذه التجارة المربحة كانت تغري الكثير من المسلمين للقيام بصفقات تجارية مع السنونك في غانه ؛ ولما كان الإسلام قد شجع التجارة وحث عليها وأكد على ربحها الحلال ؛ لذلك فلا يمنع ان يقوم بهذه الصفقات العديد من رجال الدين ممن عرفوا بالدين والتقوى ؛ وكانوا أثناء وجودهم في بلاد غانة ينشرون الإسلام الى جانب قيامهم بالتجارة ؛ ومن المؤكد فان العديد من أولئك التجار استقروا في المراكز التجارية في بلاد السودان الغربي كوكلاء محليين ولم ينتهي القرن الخامس للهجرة حتى كان الإسلام قد عُرف بشكل واضح لدى السنونك⁽²⁸⁾.

كل ذلك يدل ان للعرب تجارة رائجة مع الكثير من الأقوام والأمم الأمر الذي أمدهم بمعلومات جغرافية ، وخاصة ان الاسلام اتبع في انتشاره خطوط التجارة ، وانه حينما توجد مراكز تجارية يوجد الإسلام ، ولذلك فان الطرق والمسالك التي نفذ منها الاسلام الى أفريقيا جنوب الصحراء ، هي ذاتها الطرق التي سلكها التجار عبر الصحراء الكبرى ، ويتمثل احدها من جهة المغرب حتى التقوس الشمالي الأكبر لحوض نهر النيجر والأقاليم الواقعة الى الغرب منه ، ومسلك وسطي من تونس حتى المنطقة الواقعة بين حوض نهر النيجر وبحيرة تشاد ومسلك آخر في الشرق من اليمن والى القرن الأفريقي⁽²⁹⁾.

أما تحديد مسار الطرق التي كانت تصل الى بلاد السودان الكبرى بشمال أفريقيا ومصر ومنها الى بقية أنحاء العالم الإسلامي فيمكن إيجازه بمايأتي :-

طريق يمر من غربي صعيد مصر حتى ولاته في الغرب مخترقاً مالي وغانة ويمر في يغاو وتمبكتو وهذا الطريق طويل ولكنه مأمون .

طريق شمال افريقيا عبر الصحراء وبرقة وطرابلس فتونس والمغرب فبلاد السوس الأقصى ثم من هناك الى خصب نهر السنغال .

للطريق من المغرب الاوسط حتى مالي .

للطريق بين سجماسه وبلاد السودان الغربي ويمر هذا الطريق في باغمات ثم الى وادي درعه فاودغست .

طريق شرقي يصل اليمن بشرق افريقيا فمدن الساحل كباتا ولامو ومقاديشو ومن هنا يتفرع عدة فروع للوصول الى داخل افريقيا الشرقية⁽³⁰⁾ .

ومن خلال ذلك يتضح ان للعرب والاسلام دورا واضحا في التأثير على بلاد أفريقيا وسكانها ؛ إذ بفضلهم تجمع السكان على أسس منظمة ؛ وظهرت في المنطقة الكيانات السياسية المستقلة ؛ ويفضل الثقافة العربية الاسلامية تعلم الأفارقة ثقافة واضحة المعالم شملت المعارف الاسلامية العريقة الخاصة بمعرفة الإنسان بنفسه وربيه وبالعلم اجمع وبالعلاقات الإنسانية وارتبطت إفريقيا بالوطن العربي على كافة المستويات الثقافية والتجارية ؛ وقد استمر ذلك الترابط المتين بين الوطن العربي وأفريقيا حتى دخول الاستعمار الاسباني والبرتغالي إلى شرق أفريقيا بعد القرن (9هـ/15م) وتمكن من القضاء على العديد من مظاهر ارتباط دول ساحل شرق أفريقيا بالوطن العربي ؛ ثم ما أعقبه دخول الاستعمار الفرنسي ولانكليزي الى افريقيا جنوب الصحراء بعد القرن (13هـ/19م) الذي أدى إلى فصل العديد من الدول الإسلامية الافريقية عن الوطن العربي .

3- إفريقيا في مصادر الجغرافية العربية :-

تمثل الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية الى جانب المصادر الأخرى؛ وتمثلت الملاحظة الشخصية بالرحلات التي قام بها الجغرافيون العرب المسلمون من هواة الرحلات؛ وأعضاء الوفود الرسمية ومحترفوا التجارة وكان لهم الفضل في اتساع معرفة الجغرافيين بإرجاء العالم المعروف ؛ إذ أضيفت الى خارطة العالم المعروف آنذاك جهات لم تكن معروفة من قبل غرب افريقيا ؛ وقد سلك الرحالة تلك المناطق والتي لم يسبق لها ان سلكها احد ؛ وكانوا دقيقين في وصفهم تلك المناطق الجغرافية ؛ وكانت الرحلة تمثل الوجه المشرق للجغرافية العربية ؛ وفي بطونها معين لا ينبض من المعلومات التاريخية والاقتصادية والبشرية والطبوغرافية عن قارة أفريقيا⁽³⁰⁾ .

حتى أن كبار الجغرافيين المسلمين اعتمدوا على الرحلة في جمع معلوماتهم او التأكد مما سمعوه أو تلقوه؛ وكانت تعد عندهم بمثابة الدراسة الميدانية في الدراسات الجغرافية ؛ وقد عرفوا العرب افريقيا منذ وقت مبكر؛ وقد حوت مصنفاتهم التاريخية والجغرافية مادة علمية موسعة عن افريقيا ؛ ابتداء من القرن (3هـ/9م) ولذلك فقد كانت معلومات العرب عن أفريقيا مادة أصيلة وجديدة؛ ومن الواضح فان كثرة أسفار العرب نحو افريقيا من اجل التجارة؛ او الهجرة من اجل الاستقرار طلبا للثروة او لتحصيل مكتسبات مادية او معنوية؛ إضافة الى حب المسلمين الى الاستمرار في عملياتهم الجهادية في سبيل الله تعالى من اجل نشر الإسلام ؛ كل ذلك دفع بإعداد كبيرة منهم الى دخول افريقيا من اجل معرفه أغوارها والتعرف على أهلها؛ خاصة وان قارة افريقيا مجاورة لبلادهم وقريبة من خطوط مواصلاتهم⁽³²⁾ . ومن الواضح أن الجغرافيين العرب الذين عنوا بأفريقيا في القرنين الثامن والتاسع الميلادي كانوا من الرحالة العرب الذين سجلوا ما شاهده في أسفارهم في العالم ومنها تسجيلاتهم عن أفريقيا ؛ وتعد أقدم تلك التسجيلات ما دون عن

بلاد السودان الغربي ؛ خاصة عن دولة غانه ذات الشهرة الكبيرة بالذهب؛ وقد كتب عن غانه الفيزاري الفلكي عند زيارته لغرب افريقيا خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي؛ كما زارها (الخوارزمي) وبين موقعها على خريطته . كما تحدث اليعقوبي عن تلك الأرض أثناء مشاهدته لبلاد افريقيا حيث انه اطلع بنفسه على مناجم الذهب في غانه ؛ كما تحدث عن جاوا والتي شاهدها ايضا واعتبرها من اكبر ممالك السودان⁽³³⁾.

وفي منتصف القرن(3هـ/9م) كتب ابن خرداذبة في المسالك والممالك حديثا عن افريقيا وخاصة عن بلاد الزنج؛ وفي القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد والذي يعد عصرا لازدهار الحضارة العربية الإسلامية؛ نجد إن الأدب الجغرافي العربي قد بلغ أوجهه ؛ وظهر فيه ما سمي بالمدرسة الكلاسيكية الجغرافية العربية؛ حيث اهتم العديد من الكتاب والجغرافيين بالرحلة والتجوال من اجل وصف ما لم يكن وصفه من ارض العالم الإسلامي وما جاوره؛ وكان من ضمن تلك التسجيلات الأساسية مادون عن غرب وشرق افريقيا⁽³⁴⁾. يعد كتاب المسالك والممالك الذي عرف باسم(صورة الأرض) لابن حوقل من الكتب المهمة عن شمال افريقيا وشرقها وخاصة منطقة الحبشة والنوبة ؛ والملاحظ ان ابن حوقل اهتم بشرق افريقيا وغربها ؛ فقد تحدث على بحر القلزم؛ وعن الممالك النصراوية في النوبة والحبشة ؛ وقد زار مدينة (كمبي صالح) عاصمة دولة غانه؛ كما شاهد نهر النيجر ووصفه لنا⁽³⁵⁾.

وممن كتب عن افريقيا في القرن(4هـ/10م) أبو زيد السيرافي؛ الذي ينسب الى سيراف التي تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي؛ وقد كتب عن أخبار الزنج وبلادهم ؛ ومن بين الذين كتبوا في هذا القرن الاضطخري الذي عاش في النصف الأول من القرن (4هـ/10م) اما ما دونه عن افريقيا جنوب الصحراء فقد جاء معظمها بالواسطة من أشخاص التقى بهم ودون عنهم ما شاهده⁽³⁶⁾. ويعد المسعودي من كبار المؤرخين والجغرافيين العرب في القرن (4هـ/10م) وأشهر مؤلفاته الباقية (مروج الذهب ومعادن الجواهر) وقد جاء في هذا الكتاب مادة جيدة عن ساحل افريقيا الشرقي ؛ فقد تحدث عن بحر الزنج (الجزء الغربي من المحيط الهندي) ووصفه بأنه من أكثر البحار خطورة وقد عبر المسعودي ذلك البحر ووصل الى ساحل شرق افريقيا ولكنه كما يبدو لم يتقدم نحو الداخل؛ ولذلك جاء معظم حديثه عن زنج الساحل وعن علاقتهم بالعرب وعن تجارتهم⁽³⁷⁾.

وفي القرن (5هـ/11م) كتب البيروني مادة عن النشاط التجاري الذي كان قائماً مع شرق افريقيا ؛ واكد على دور العرب التجاري هناك ؛ وممن كتب ايضا عن افريقيا في نفس هذا القرن الإدريسي في كتابه (نزهة المشاق في اختراق الأفاق) وكانت مادته العلمية جيدة عن بعض مدن ساحل افريقيا الشرقي والجزر المجاورة ؛ ويمتاز الإدريسي عن غيره بأنه تحدث عن تجارة الحديد مع افريقيا⁽³⁸⁾. وذكر ان الزنوج يملكون مدينة(ماليدة) وان لهم مناجم للحديد ويتاجرون في المطلوع منه ويربحون منه أرباحا كبيرة ؛ كذلك تحدث عن افريقيا ولاسيما مدينة (غانة) التي أسهب في الحديث عنها ؛ وذكر بأن عاصمتها (كمبي) كانت اكبر سوق تجاري في السودان الغربي؛ وان التجار كانوا يجتمعون فيها من كل مكان كما ذكر الإدريسي بان المسلمين وبخاصة العرب منهم كانت لهم مراكز عليا في دولة غانه؛ وكان الوزراء والكتاب منهم ؛ كما تحدث عن دولة (مالي) الاسلامية واكد على دورها التجاري مع شمال افريقيا⁽³⁹⁾.

وفي القرن(7هـ/13م) يطالعنا ياقوت الحموي بمعجمه المعروف (معجم البلدان) بمادة طيبة عن بعض مناطق افريقيا جنوب الصحراء؛ وقد تناول في معجمه مادة تاريخية وجغرافية عن مدن شرق افريقيا(كمقديشو) و(كلوه) ؛ كذلك كتب عن (الشعب السواحلي) وسماهم بشعب البربر؛ كما تحدث عن غانه؛ ودولة مالي الاسلامية وعن نهر النيجر؛ وبعض أحوال

السودان⁽⁴⁰⁾. وفي أواخر القرن (7هـ/13م) كتب عن أفريقيا أيضا الجغرافي المعروف ابن سعيد المغربي الذي تحدث بشكل خاص عن شرق أفريقيا ومدنها وأهلها وسكانها⁽⁴¹⁾. أما أهم ما كتب عن بلاد أفريقيا في القرن (8هـ-14م) فهو ابن فضل الله العمري؛ مؤلف كتاب (مسالك الإبحار في ممالك الأمصار) وهذا الكتاب موسوعة كبيرة؛ تتألف من اثنا وثلاثون جزءاً وهو لا يزال مخطوطاً حتى اليوم ويحتوي على ستة عشر جزءاً مزدوجاً؛ وقد قسم العمري كتابه إلى قسمين؛ خصص القسم الأول منها للأرض والأخر للسكان؛ وقد جاءت التسمية مطابقة للمضمون؛ فالقسم الأول جزءه إلى قسمين سماه في ذكر المسلك؛ أما الآخر فسماه في ذكر الممالك؛ وفي القسم الثاني من هذا الكتاب ورد ذكر بلاد السودان الكبرى دولة بعد أخرى بشكل مفصل؛ وتحدث عن دولة مالي الإسلامية؛ فذكر أهم المدن وطرق المواصلات⁽⁴²⁾.

وفي نهاية القرن (8هـ/14م) كتب الرحالة المشهور ابن بطوطة المتوفى (779هـ/1373م) في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) مادة جيدة؛ حيث تحدث عن مشاهدته الشخصية؛ وتعد كتابته معاصره؛ وهي بذلك ذات قيمة جغرافية وتاريخية؛ كذلك قد أفاض بالحديث عن شرق أفريقيا؛ حيث تحدث عن الإمارات الإسلامية هناك وعن علاقاتها بالوطن العربي؛ وقد ذكر العديد من النصوص التي تدل على تأثر تلك المناطق بالعرب والإسلام⁽⁴³⁾.

المبحث الثالث:- دور الأوربيين في كشف القارة الأفريقية:-

لم يعرف الأوربيين مجاهل أفريقيا إلا في أعقاب حركة الكشوف البحرية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر؛ إلا إن هذا المنطقة لم تكن مجهولة بالنسبة لسكان أفريقيا سواء كانوا من العرب أم من الأفارقة؛ وإنما كانت مجهولة لسكان أوروبا؛ وعلى الرغم من إن قارة أفريقيا هي جزء من العالم القديم؛ إلا أن كشفها والتعرف على الكثير من مناطقها من قبل الأوربيين جاء بصورة متأخرة لعدة عوامل منها:-

- 1 - إن أوروبا كانت تعيش فترة تخلف حضاري؛ وتتكون من عدة دويلات وإقطاعات؛ في حين كانت أفريقيا واسبانيا ذات حضارة ودول وممالك متطورة.
 - 2 - وجود التضاريس الصعبة والغابات الاستوائية الكثيفة مما لا يساعد على وجود طرق ومسالك.
 - 3 - ان وجود الصحراء الكبرى في الشمال كانت حاجزا لم يألفه الأوربيون كبيئة صعبة.
 - 4 - كانت الأمراض اكبر العقبات التي تقف في وجه المستكشفين .
 - 5 - تمتاز السواحل الإفريقية باستقامتها وقلة الخلجان مما جعل ندره الموانئ الطبيعية الجيدة .
 - 6 - كثرة الجنادل والشلالات في أنهارها جعلها غير صالحة لسيير السفن لمسافات بعيدة⁽⁴³⁾.
- وبالرغم من هذه الصعوبات ففي عام (1415م) تمكن البرتغاليون من السيطرة على مدينة سبته المغربية؛ إلا أنهم فشلوا في الاستيلاء على المغرب بكاملها؛ وأكد لهم هذا الفشل ان منطقة شمال أفريقيا أصبحت منطقة عربية مغلقة بالنسبة للأوربيين؛ وبالتالي يعني غلق هذه المنطقة الحيوية لأوروبا؛ حيث انها تمثل الجسر الذي تعبر منه تجارتها من وإلى الهند؛ وكانت الدولتان الأوربيتان البرتغال واسبانيا الأقرب إلى الساحل العربي في شمال أفريقيا أول من شعرت بالأهمية الجيوستراتيجية لهذه المنطقة، ولم يكن القرب الجغرافي هو السبب الوحيد لهذا السبق، بل هناك جملة أسباب تقف خلف السبق الأيبيري في مجال الكشوف الجغرافية في أفريقيا أهمها⁽⁴⁴⁾.

- 1 - ان هاتين الدولتين ورثتا عن حروب الاسترداد سلطة مركزية قوية استطاعت توحيد البلاد .

- 2 - التطور الذي شهدته الملاحة الأيبيرية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر .
- 3 - إن السبق الأيبيري يعود إلى استفادة البرتغال واسبانيا من التجارب الإيطالية ومن خبرة الجالية الإيطالية المقيمة بأهم موانئها .
- 4 - كانت للعلوم الجغرافية التي تركها العرب في البلاد التي أخرجوا منها دورا في توفير مقومات السفر البحري فخرائط الإدريسي ورحلات الرحالة العرب والوسائل العلمية المتقدمة في معرفة الطرق والاتجاهات التي وفرها الفكر الجغرافي العربي كانت دافعا وراء حركة الكشوف الجغرافية .
- 5 - كان لتوزيع الرياح والتيارات البحرية بين درجات (41-42-35) شمال المغرب وجنوب البرتغال ، دوراً في ان تكون شبه جزيرة ايبيريا ، نقطة انطلاق وعودة للسفن الذاهبة الى أمريكا او الى افريقيا (45) .

إضافة الى العوامل التي تم ذكرها ، فان هناك أهداف رئيسة كانت تطف خلف عملية الكشف الجغرافي التي ابتدائها البرتغال واسبانيا ثم اتبعتها الدول الأوروبية الأخرى منها :-

1 - هدف ديني :

يعد الهدف الديني المحرك الأول للاكتشافات الجغرافية ، حيث أعلن الأمير هنري الملاح انه يهدف للوصول الى مملكة القديس يوحنا في شرق افريقيا ، وهي المملكة المسيحية التي كان الأوروبيون يسمعون عن قوة حاكمها الذي يمكن الدخول معه في حلف ، ليكون قاعدة لنشر المسيحية (46) .

2 - هدف اقتصادي :

يعد الهدف الاقتصادي احد الأهداف التي دفعت البرتغاليين لبذل الجهود المتواصلة من اجل الوصول الى افريقيا والبحث عن تجارة رابحة ، وقد افتتحت البرتغال عصر الكشوفات الجغرافية بان أوفدت الأمير هنري الملاح الى رحلة بحرية الى غرب افريقيا ، تم فيها الكشف عن جزيرة ماديرا وجزر اوزور وكيب فرد وجزيرة اراغون ، تم استطاع احد التجار البرتغاليين (فرناو جوميز) في سنة 1469 ان يقنع ملك البرتغال بمنحة امتياز لمدة خمس سنوات تجارة ساحل غانة جنوب كيب فرد ، على شرط ان يقوم جوميز بالكشف عن (400) ميل من السواحل سنوياً ، وقد مد هذا الامتياز بعد ذلك حتى سنة 1475 م واستطاع في تلك السنة ان يصل الى جزيرة فرنانديو ، وان يعبر خط الاستواء ، كما لاحظ ان ساحل غانة غني برماد الذهب ورواسبه فأطلق على هذه الجزيرة من الساحل اسم المنجم ، وهو الذي أصبح ما يسمى فيما بعد ساحل الذهب (47) .

وفي عام 1487م أبحر (بارثو لوميودياز) من مواني البرتغال في المحيط الأطلسي وكشف رأس الرجاء الصالح ووصل الى خليج "الجوا" على الساحل الشرقي لأفريقيا دون ان يدرك انه كشف الطريق البحري الى الهند (48) .

أما (فاسكودي كاما) فقد نجح في عبور رأس الرجاء الصالح في عام 1498م حيث انحرف الى الشمال محاذيا سواحل القارة الجنوبية الشرقية ؛ وفي نفس العام رسا دي كاما امام موزنبيق؛ ولما كان الهدف الرئيس من بعثه دي كاما هو الوصول الى الهند فقد طلب من حاكم موزنبيق ان يمهده ببعض الربابنة والإدلاء العرب ممن لهم اتصال سابق بالهند ليصلوه الى كاليكوت ؛ فأرسل

معه الحاكم اثنين من العرب ؛ وكادت بعثة فاسكو دي كاما تغادر موزنبيق حتى توترت العلاقة بينهما وبين أهالي البلاد حينما علم هولاء ان البرتغاليين من النصارى فبرزوا لهم العداء واضطر دي كاما ان يقلع بسفنه الى كالوه دون ان يتمكن من الرسو فيها فنصحته الدليلان بالتوجه الى مباسا الا انه ابتعد عنها قاصدا مالندي التي رسا فيها ؛ وطلب من ملكها مرشد بحري فوافق ملكها على تزويد السفن البرتغالية بمرشد بحري يرشدها الى طريق الابحار نمو الهند وفي غضون أربعة أسابيع وصلت السفن البرتغالية الى الهند⁽⁴⁹⁾.

أما اسبانيا فقد كانت في اوائل عهد الكشوف الجغرافية قد انصرفت الى تنفيذ مشاريعها الاستعمارية الكبرى في القارة الأمريكية ولكنها بمرور الزمن ضعفت هي الأخرى وانهارت وخسرت كل مستعمراتها هناك بسبب الثورات الأهلية ؛ كما خسرت جزر الفلبين وكوبا وبورتيركو اثناء حروبها مع الولايات المتحدة الامريكية عام 1898م؛ ومن اجل ذلك اتجهت هي الأخرى الى افريقيا واستعمرت مناطق صغيرة اهمها (سبته ومليلة وايفيني وغينيا الاستوائية وجزر الكناري-فرناندويو- رانوبون) وكلها شمال وغرب افريقيا⁽⁵⁰⁾.

وما ان شهدت الدول الأوروبية نجاحات البرتغال في هذا المجال حتى بدأت تندفع الواحدة تلو الأخرى وتحذوا حذوها محاولة كسر الاحتكار البرتغالي والحصول على نفس الأرباح والامتيازات التي تحصل عليها ؛ وفي نفس الوقت عجزت البرتغال عن أبقاء الاحتكار لنفسها ولاستفادة من افريقيا لقلّة عدد سكانها وعدم وجود صناعة فيها .ومن ابرز الدول المنافسة هولندا ؛ حيث كان الهولنديون يعملون كوسطاء لنقل تجارة البرتغال الى أوربا ؛ وما ان رفضت البرتغال استمرار الهولنديين القيام بهذا الدور؛ حتى أسست هولندا في عام 1602 شركة الهند الشرقية الهولندية وانفردت بالتجارة دون البرتغال وانتهى الصرع بين هولندا والبرتغال بإزاحة البرتغاليين من السواحل الإفريقية فيما عدى (انجولا وموزنبيق والرأس الأخضر وغينا بيساو)⁽⁵¹⁾.

إضافة الى هذه الدول دخلت دول اخرى في التنافس الأوربي على القارة الأفريقية ؛ ولكن بالرغم من ذلك استمر اهتمام الأوربيين بالتجارة الساحلية فقط؛ ولكن بعد التطور الذي أصاب وسائل النقل ودخول القوى البخارية في النقل البحري وظهور أسلحة جديدة من شأنها تأمين حياة المستكشفين ؛ إضافة الى اكتشاف وسائل مكافحة الأمراض والوقاية منها أعطى للمستكشفين الدعم الكبير لاختراق قلب القارة الإفريقية وخضوعها للسيطرة ولاستغلال ؛ فقامت العديد من الرحلات التي ادت الى كشف المناطق الداخلية من القارة جدول⁽¹⁾. وقد تم تمويل هذه الاكتشافات عن طريق الجمعيات الاوربية التي ترتبط مخططاتها بمصالح الدول التي تنتمي اليها ؛ وقد ادت الكشوفات الجغرافية الى الكثير من النتائج اهمها قيام تجارة العبيد ؛ وظهور المنافسة والتسابق بين الدول الكبرى الى استغلال القارة الافريقية وتقسيمها الى مناطق نفوذ الدول الأوروبية الاستعمارية .

جدول (1)

رحلات الكشوفات الجغرافية داخل افريقيا

ت	اسم المستكشف	المناطق المكتشفة	سنة الرحلة
1-	جيمس بروس	بدأ من مصوع الى تانا وسنار	1779
2-	منجو بارك	بدأ من مصب نهر الشمال الى أعالي نهر النيجر غرب باماكو	1795
3-	كايبة	بدا من سواحل غانة الى فاس في مراكش عبر تمبكتو	1827
4-	كلابرتون	بدا من مدينة طرابلس الى دلتا النيجر وبحيرة تشاد	1734
5-	سبيك وجرانت	من زنجبار الى الخرطوم واكتشاف منابع النيل الاستوائية	1842
6-	سليم القبطان	بدا من الخرطوم الى اعالي بحر الجبل	1849
7-	بارت	من طرابلس الى تشاد وبارمي وتمبكتو	1850
8-	لفنجستون	من موزنبيق الى لوندا في انكلولا	1852
9-	برتون وسبيك	من زنجبار الى بحيرة تنجانيقا	1858
10-	شفانيفورت	من الخرطوم الى بحر الغزال وأعالي نهر الاويلي احد روافد الكونغو	1870
11-	ستانلي	من مصب الكونغو الى زنجبار	1877
12-	دي برازا	من ساحل الغابون الى نهر الكونغو	1880

المصدر: جمال على طه، آليات التحول الديمقراطي في أفريقيا؛ رسالة ماجستير؛ جامعة بغداد؛ كلية العلوم السياسية؛ 2008. ص 49 " غير منشورة".

- Abstract -

The term " The discovery of Africa " is related to the European than others . The concept of discovery is applicable to European and is not applicable to African people since this continent was well- know to the African themselves but unknown to the other people to the east of the midditeranian sea were the first who participated in geographical discoveries. In their region , the most ancient civilizations were established which depended some times on trade and in other times , they depended on agriculture

The ancient Egyptian scripts included a description of the trips which found their way from Egypt to the south through the desert, one of these trips was made by Khuf Hor during the reign of King (Mannra). Some of the ancient studies proved that the Egyptian went to Sudan.

As for the ancient Iraqi civilization, the outside trade was the basic factor which motivated the Sumerian civilization to make sea trips to the eastern coast of Africa. Several excavations in the east of Africa proved that there is similarity in the patterns of building habits, and tradition of the Sumerian and Assyrians Arab communication with the east of Africa went on growing and developing even before Islam and trade was the basic factor in that regard the season winds facilitated the ships movement between the Arab Islam and the eastern parts of Africa.

Islam was considered as the first civilization effect which influenced Africa. The emergence of Islam resulted in the expansion of communication between the Arab island people and the Africans. As a result, waves of Arabs went to Africa for different reasons, some of them was to spread Islam and to expand trade. The first result of that Arab migrations was the establishment of cities along the African coast and the opposite island, those cities and Arab centers established their authority and power on the Arab region there. The Arabs and Islam had a great impact on Africa

and its people. By their help the population gathered systematically in Africa, new independent political entities appeared and Africa was joined with the Arab – homeland on all levels and that continued till then 15th century and the coming of the Portuguese and Spanish invasion to the east of Africa.

The Europeans had no idea about the mysteries of Africa till sea discoveries movement which happened at the ends of the 15th century. Spain and Portugal were the two European states were the nearest to the Arab coast in the north of Africa.

Those two states realized the geostrategic importance of Africa. There were a number of goals behind the Iberian priority in the area of Geographic discoveries in Africa and the most important ones were the religion and the economic.

(قائمة الهوامش)

- 1: Peake(h) fleure; (h); times and places; 1956. p147
- ackerman; f; geog raphy as fundamental research; Chicago; : 1958. p142
- (3) يسري الجوهرى ؛ الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ؛ منشأة المعارف ؛ الإسكندرية؛
1989 . ص20
- (4) المصدر نفسه ؛ ص20
- (5) يسري الجوهرى ؛ شمال افريقيا ؛ الاسكندرية ؛ 1976.ص98
- (6) صبري فارس الهيتي وآخرون؛ الفكر الجغرافي وطرق البحث ؛ وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي ؛ جامعة بغداد ؛ 1985 . ص18
- (7) شريف محمد شريف؛ تطور الفكر الجغرافي؛ ج 1 ؛ القاهرة؛ 1969.ص29
- (8) عبد السلام ابراهيم بغدادى؛ الجماعات العربية في أفريقيا ؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛
بيروت؛ 2005.ص92
- (9) جواد علي؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ؛ بيروت؛ 1969.ص45
- (10) ممتاز العارف ؛ ارتيريا بين احتلالين ؛ بغداد؛1979.ص13
- (11) المصدر نفسه؛ ص10
- (12) ممتاز العارف؛ الأحباش مآرب واكسوم ؛ بيروت؛ 1975.ص74

- (13) عبد الله عبد العزيز؛ حول العلاقات العربية الافريقية؛ مجلة المؤرخ العربي ؛ العدد 29 ؛ 1987. ص77
- (14) جمال زكريا قاسم؛ الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ؛ القاهرة ، 1975 . ص 8
- (15) وفيق حسين الخشاب وإبراهيم المشهداني؛ افريقيا جنوب الصحراء؛ مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ؛ جامعة الموصل ؛ 1978. ص45
- (16) سيد احمد العراقي ؛ ارض الزنج والاتصال بحضارات العالم الخارجي؛ مجلة المؤرخ العربي ؛ اتحاد المؤرخين العرب؛ العدد31؛ بغداد ؛ 1987. ص23
- (17) ابن هشام؛ السيرة النبوية؛ القسم الأول ؛ حققها مصطفى السقا واخرون ؛ تراث الاسلام ؛ (بلا تاريخ) . ص322
- (18) يوسف فيصل حسن؛ الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ؛ مركز دراسات الوحدة العربية ؛ ط2؛ بيروت ، 1987. ص30
- (19) شوقي عطا الله وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم ؛ تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم ؛ دار الثقافة للنشر والتوزيع ؛ القاهرة؛ 1966. ص9
- (20) عبد السلام إبراهيم بغدادى ؛ مصدر سابق ؛ ص.19
- (21) يوسف فضل حسن ؛ مصدر سابق؛ ص.33
- (22) سعدون شلال ظاهر؛ اثر الاسلام في تطور الفكر الجغرافي الاسلامي؛ مجلة ديالى للبحوث العلمية والتربوية؛ العدد19؛ 2005. ص13
- (23) كراتشوفسكي؛ تاريخ الادب الجغرافي العربي ؛ ترجمة صلاح الدين عثمان ؛ موسكو؛ 1957. ص47
- (24) عبد الرحمن زكي؛ المسلمون في العالم اليوم (افريقيا الاسلامية) ؛ القاهرة؛ 1958. ص8
- (25) نعيم قداح وعمر الحكيم؛ افريقيا الغربية في ظل الاسلام ؛ وزارة الثقافة والارشاد القومي؛ كوناكري؛ 1960. ص29.
- (26) صبري محمد حسين ؛ الجغرافيون العرب ؛ مطبعة القضاء؛ النجف؛ 1958. ص14
- (27) المقدسي؛ التقاسيم في معرفة الاقاليم ؛ مطبعة بريل؛ لندن ؛ 1906. ص19
- (28) حسين احمد محمود ؛ انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ؛ القاهرة ؛ 1957. ص211
- (29) زاهر رياض؛ الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى؛ مكتبة الانجلو المصرية ؛ القاهرة؛ 1968. ص29
- (30) احمد شلبي؛ موسوعة التاريخ الإسلامي ؛ ج 6 ؛ مكتبة النهضة المصرية؛ القاهرة ، 1960. ص110 .

- (31) زكي محمد حسن؛ الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ؛ بيروت؛ 1981.ص.8
- (32) زاهر رياض؛ كشف القارة الافريقية؛ مكتبة الانجلو المصرية؛ القاهرة؛ 1969.ص.30
- (33) ياسين ابراهيم علي الجعفري؛ اليعقوبي المؤرخ والجغرافي؛ منشورات وزارة الثقافة والإعلام؛ الجمهورية العراقية ؛ 1980.ص.21 .
- (34) دريد عبد القادر نوري؛ تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء ؛ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ؛ جامعة الموصل؛ 1985.ص52-53
- (35) ابن حوقل؛ كتاب صورة الارض ؛ بيروت: د/ت.ص.19
- (36) دريد عبد القادر نوري؛ مصدر سابق؛ص.53
- (37) جمال زكريا قاسم؛ مصدر سابق ، ص 18 .
- (38) دريد عبد القادر نوري؛ مصدر سابق؛ ص.57
- (39) احمد سوسة ؛ الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية؛ بغداد؛ 1995.ص.26
- (40) صلاح الدين المنجد؛ أعلام التاريخ والجغرافية ؛ دار الكتاب الجديد؛ بيروت ؛ 1963.ص.76
- (41) محمد رشيد الفيل؛ اثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب نشرة دورية ؛ العدد9؛ الكويت ؛ 1979.ص.31
- (42) نقولا زيادة؛ الجغرافية والرحلات عند العرب ؛ دار الكتاب؛ بيروت؛ 1962؛ ص.60
- (43) احمد نجم الدين فليجة؛ افريقيا دراسة عامة واقليمية؛ مؤسسة شباب الجامعة؛ مصر؛ 1978.ص.52
- (44) جمال طه علي؛ آليات التحويل الديمقراطي في افريقيا نيجيريا انموذجاً؛ رسالة ماجستير؛ جامعة بغداد ؛ كلية العلوم السياسية ؛ 2008.ص.44."غير منشورة "
- (45) احمد بوشرب؛ اسباب ومراحل اكتشاف البرتغاليين للسواحل الافريقية؛ مجلة المؤرخ العربي؛ العدد31؛ 1987.ص.16
- (46) محمد مظفر الادهمي؛ تاريخ اوربا الحديث؛ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي؛ بغداد ؛ 1989.ص.36
- (47) محمد صفي الدين؛ افريقيا بين الدول الأوروبية؛ دار مصر للطباعة؛ (بلا تاريخ) ص.73
- (48) فؤاد محمد الصقار؛ جغرافية التجارة الدولية؛ نشأة المعارف؛ الاسكندرية؛ 1973.ص.19
- (49) جمال علي طه ؛ مصدر سابق؛ ص.47
- (50) جودة حسنين جودة؛ جغرافية افريقية الإقليمية؛ منشأة المعارف؛ الإسكندرية؛ 1981.ص.19

(51) سعد ناجي جواد؛ التطورات السياسية الحديثة في افريقيا؛ جامعة بغداد؛ 1988.ص13.